

زمن هنا يأتى الإهتمام بضمن كل ما يوفر له السعادة فى دنياه وأخراه. والفهم الصحيح للدين من شأنه أن يوفر المناخ المناسب لتحقيق كل هذه الطموحات.

والمنهج الحضاري الإسلامي يعتمد فى تطبيقه على تحقيق فهم مستنير للدين يواكب متطلبات العصر. ومن هنا يركز على أن الدين دعوة إلى التعمير والبناء الحضاري استجابة للأمر الإلهي بإعمار الأرض وصنع الحضارة فيها.

إن الدين حياة متدفقة بالخير، عامرة بالأمن، وليس دروشة فارغة أو شكليات لا روح فيها ولا حياة. والمتأمل فى بنود هذا المنهج الحضاري الإسلامي يتضح له مدى الارتباط الوثيق بين الإيمان والعمل الصالح، وبين الدين والدنيا، وبين هذه الحياة التى نعيشها والحياة الأخرى المستقبلية.

إن الإنسان فى هذا المنهج يعد حجر الزاوية. والمنهج بكل بنوده يسعى إلى الارتقاء بالإنسان – أشرف مخلوقات الله وخليفته فى الأرض – والذي كلفه الله بعمارة الأرض ونشر الأمن والسلام والخير فى كل أرجائها. إن المطلوب – إذن – هو أن يتجه الجميع للعمل بقلوب عامرة بالإيمان بعيداً عن الشكليات التى لا أثر لها ولا تأثير، وبعيداً عن أي شكل من أشكال التشدد أو التطرف أو الغلو فى الدين، وفى الوقت نفسه تصبح هذه القلوب عامرة بحب الناس وحب الحياة وحب الخير لكل البشر.

ونحن – إذ نحیی هذا التوجه المالىزي فى إحيائه للفريضة الغائبة لدى المسلمين وهي البناء الحضاري – فإننا ندعو لهذه الدولة الفتية بالتوفيق والنجاح فى تحقيق آمال شعبها حتى تكون نموذجاً يحتذى به لأمتها الإسلامية.

الدكتور محمود حمدي زقزوق
وزير الأوقاف فى جمهورية مصر العربية
محاضرة فى الملتقى العالمى الثالث لخريجي الأزهر
المنعقد بدولة ماليزيا – كوالالمبور
فى الفترة 15-18 فبراير 2008م

- الحفاظ على البيئة.
- تعزيز القوة الدفاعية للوطن.

والبند الأول فى هذا المشروع وهو الإيمان بالله لم يوضع اعتباراً أو بقصد التجميل وإرضاء المشاعر الدينية لدى مسلمي ماليزيا الذين يشكلون نسبة (60%) تقريباً من تعداد السكان فى مجتمع متعدد الأعراق والديانات، وإنما قصد بجعل الإيمان بالله أول هذه المبادئ أن يكون الدين هو الأساس الذى تنبنى عليه بقية المبادئ. وإذا كان الأساس سليماً فإن ذلك يكون بمثابة ضمانة أكيدة وركيزة راسخة تنطلق منها بقية المبادئ وتطبيقاتها.

وقد أدركت ماليزيا أن الفهم الصحيح للإسلام له دور بالغ الأهمية وعميق الأثر فى توجيه سلوك الناس التوجيه الصحيح. وفى المقابل فإن الفهم العقيم للإسلام يشكل عقبة كبرى فى سبيل أي تقدم للمجتمع. ولا شك فى أن الإسلام بتعاليمه السمحة دين يشتمل على كل القيم الحضارية التى من شأنها أن ترتقى بالمجتمع وتعلى من شأن أفرادِهِ وتحمى تعدديته الدينية والعرقية وتحافظ على التماسك بين جميع فئات الأمة من أجل تحقيق الآمال المرجوة للمجتمع بأسره.

وبالإضافة إلى تأكيد دور الدين وأهميته فى تقدم المجتمع يشتمل المنهج المذكور على مجموعة من القيم الأساسية الدافعة إلى النهوض بالأمة والإرتقاء بها وكلها قيم إسلامية وإنسانية فى الوقت نفسه.

وأهم هذه القيم: الحرية والعدالة والأمانة والعلم والمعرفة، وحقوق المرأة، وحقوق الأقليات الدينية والعرقية، والحفاظ على البيئة، وضمان مستوى معيشي معقول للإنسان ليشعر بأدميته وكرامته، وحماية أمن الوطن والمواطنين، وإحاطة ذلك كله بسياج من القيم اخلاقية.

ويمكن القول فى إيجاز شديد بأن هذا المنهج يهدف إلى تحقيق التنمية الشاملة فى المجتمع. وفى هذا الإطار يركز على بناء الإنسان بناءً سليماً؛ فالإنسان هو عماد أي تنمية وهو صانع الحضارة وهو غايتها أيضاً.

لقد خطت ماليزيا - كما يعرف الجميع - خطوات موفقة فى مجال التنمية الإقتصادية. ولكنها فى الوقت نفسه تريد الحفاظ هلى هويتها الدينية وثقافتها الإسلامية. وهذا أمر جدير بكل التقدير والدعم والإحترام.

ومن خلال تطبيق هذا المنهج الحضاري الإسلامي تطمح ماليزيا إلى الخروج من دائرة الدول النامية واللاحق بركب الدول المتقدمة. وفى سعيها لبلوغ الهدف تقوم - كما علمت - بحملة واسعة النطاق فى كل أرجاء ماليزيا، وعلى جميع المستويات لشرح هذا المنهج وتوضيح أهدافه وبيان فوائده التى تعود بالخير على جميع طوائف الشعب بمختلف أعراقه وأديانه.

وقد أطلقت ماليزيا " المنهج الحضاري الإسلامي " لتواجه تيارات التعصب والتشدد والفهم القاصر للإسلام، هذا الفهم الذى يعوق تقدم الأمة ويحول دون الأخذ بمعطيات العصر وعلومه وتقنياته. وتؤكد هذه المبادرة أن الإسلام دين متجدد وعصري، وأن الجمود ينبع من نظرة المسلمين إليه وتفسيرهم لتعاليمه تفسيراً قاصراً. وهذا أمر يجب إعادة النظر فيه. فالإسلام دين يدعو إلى أعمال العقل ويحث على التفكير والإجتهد، والمسلمون مطالبون بإحياء هذه المبادئ وتفعيل هذه القيم الإسلامية الدافعة إلى تقدم الأمة إذا أرادوا تطوير مجتمعاتهم وعدم التخلف عن مواكبة العصر.

وتتخلص مبادئ هذا المنهج الحضاري الإسلامي فى البنود العشرة

التالية:

- الإيمان وتقوى الله.
- حرية الشعب.
- التمكن من العلوم والمعارف.
- التوازن والشمول فى النهضة الإقتصادية.
- النمو الإقتصادي والرفاه المعيشي.
- حماية حقوق الأقليات والمرأة.
- غرس القيم والأخلاق.

التجربة الحضارية الماليزية

وإذا كنا قد حاولنا أن نشخص إجمالاً أدواء عالمنا الإسلامي ولخصناها في المشكلة الحضارية فإن محاولتنا هذه لم تكن نابعة من منطلق جلد الذات أو إصابة النفوس باليأس والإحباط، وإنما كان منطلقنا هو النقد الذاتي والحرص التام على تقدم الأمة ونهضتها والغيرة على مصيرها. ومن جانب آخر لانستطيع أن ننكر أن هناك بعض التجارب الهامة والمحاولات الجادة في بعض بلادنا الإسلامية للخروج من المأزق الحضاري الذي يعطل مسيرة الأمة، الأمر الذي يبشر بالخير ويعيد الأمل إلى النفوس ويستعيد الثقة بقدرة العقل الإسلامي على البناء والتعمير.

وإذا جاز لي في هذا المقام أن أضرب بعض الأمثلة الرائدة فإنه لا يجوز تجاهل تلك الجهود التي تقوم بها بعض البلاد العربية والإسلامية - وفي مقدمتها مصر بلد الأزهر الشريف - لتحقيق التنمية الشاملة على المستويين المادي والروحي، على الرغم من كل الصعوبات والعقبات الداخلية والخارجية التي تعترض هذا الطريق. والأمل معقود على أن تكلل هذه الجهود بالنجاح حتى تكون سندا قويا ودعمًا أكيداً للأمة الإسلامية.

ومنذ أكثر من عام ونصف سعدت بزيارة ماليزيا، تلك الدولة الفتية الغريزة على قلوبنا جميعاً، وأتيح لي أن أتعرف على القفزة الحضارية التي تحققت فيها، كما تعرفت عن قرب على ملامح " المنهج الحضاري الإسلامي " الذي تتبناه ماليزيا للتقدم والإرتقاء. وهو منهج يركز - كما هو واضح - على الجانب الحضاري في الإسلام، هذا الجانب الذي يعد في حقيقة الأمر لفريضة الغائبة لدى غالبية المسلمين في عالم اليوم.

ويسعدني أن ألقى نظرة سريعة على خطوات هذا المنهج لنشترك معاً في الإطلاع على ما تبذله هذه الدولة في هذا المجال من جهود صادقة نرجو لها المزيد من التوفيق والسداد.

زمان ومكان، ويمكن القول بأن الإسلام يعد دين العولمة الحقيقية، وإن كان هذا القول لن يروق لفريقين على طرفي نقيض، أحدهما سيعتبر ذلك محاولة لأسلمة العولمة، وثانيهما سيعده دعوة إلى تغريب الإسلام. وكلا الفريقين جاهز بشعاراته لخوض معركة وهمية لا نريد أن نشغل أنفسنا بها.

إن العالم يسير من حولنا بسرعة مذهلة، والمتغيرات على الساحة الدولية لا تكف عجلتها عن الدوران. وقد استطاع الغرب أن ينشر العولمة بإيجابياتها وسلبياتها بفضل الثورة العلمية والتكنولوجية، وثورة المعلومات والاتصالات وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، والبث التلفزيوني المباشر، وامتلاك ناصية المعرفة والمعلومة التي أصبحت اليوم مصدر القوة. وكل يوم يمضى يزيد من اتساع الفجوة بين المسلمين وبين العالم المتقدم. ولا خلاص لنا إلا بالأخذ بكل أساليب التطور العلمي والتقني والحضاري، والعمل الجاد المنتج على جميع المستويات، والمشاركة الفعالة في تقرير مصير هذا العالم الذي نعيش فيه، والإسهام في استعادة التوازن المفقود غى حضارة العصر. وإلا فلسنا جديرين بالحياة. ولم يعد لصياح الحناجر ورفع الشعارات الجوفاء أي معنى.

لقد أضاع المسلمون الكثير من عمر الزمن في تفاهات الأمور، والآخرون يصارعونهم في عظام الأمور، والغالبية من المسلمين غير واعين بمتغيرات العصر، وغير مدركين لأبعاد المخاطر التي تحيط بهم من كل جانب، لأنهم مشغولون بقضايا هامشية، ومهتمون ببعض المظاهر الشكلية في الدين، والآخرون يزلزلون في جذورهم وهم لا يشعرون.

إن الأمر جد خطير، وعلى مفكري المسلمين في كل مكان ألا يكفوا عن الدعوة إلى إيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين لتنهض الأمة وتشارك في مسيرة التقدم على المستويين المادي والروحي، وتحتل مكانها اللائق بها بين الأمم.

إن العولمة – فى رأينا – تمثل بالنسبة للمسلمين دعوة غير مباشرة إلى ممارسة النقد الذاتى ليعيدوا النظر فى حساباتهم، ويعيدوا ترتيب البيت من الداخل، وهذه الدعوة تأتى بطبيعة الحال دون قصد من أصحاب العولمة. وقد يرى البعض أن العولمة تمثل استفزازاً للمسلمين، ونرى أنه استفزاز مفيد إذا أحسن المسلمون التعامل معه بأسلوب عقلاني بعيد عن التشنج والإنفعال.

إن القضية – فى رأينا – تدور حول أسلوب التعامل مع هذا الواقع الجديد والتفاعل معه بطريقة سليمة. أما إذا تجاهلنا الواقع واكتفينا بعبارات الرفض والشجب والإدانة والإستتكار لأساليب الهيمنة والسيطرة وفرض النظم الغربية ... إلخ – فإننا بذلك سنتظل ندور حول أنفسنا مكتفين بدفاع الحناجر. وهذا أمر لا يرضاه مسلم عاقل. ولسنا فى حاجة إلى التأكيد على أن العالم الإسلامى يملك كل أسباب القوة الإقتصادية، فهو عالم غني بموارده الطبيعية، وموقعه الجغرافى المتميز، وثروته البشرية، ولا تنقصه الكفاءات العلمية والخبرات الإقتصادية، وكل ما يحتاجه هو الإدارة الفاعلة لتحقيق الإنطلاقة الإقتصادية المرجوة.

إن الأمر إذن بيدنا – نحن المسلمين – وعلينا أن نختار لأنفسنا الطريق القويم المحقق للأهداف، وعلينا أن ندرك أن الإسلام منذ اللحظة الأولى كان ولا يزال دعوة عالمية للناس جميعاً. ومن هنا لفت نظرهم إلى وحدة الأصل الإنسانى. فالناس جميعاً إخوة. وإذا كانوا مختلفين فى أجناسهم وأعراقهم ومعتقداتهم فإنهم – على الرغم من ذلك – ينتسبون جميعاً إلى أصل إنسانى واحد.

وهذه الإختلافات - فى ضوء هذه الوحدة الإنسانية الراسخة - من شأنها أن تكون منطلقاً للتعارف والتآلف والتعاون، لا للتنازع والتخاصم والشقاق - كما يقرر القرآن الكريم : " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ".

وهكذا كانت دعوة الإسلام دعوة عالمية إلى الأخوة الإنسانية فى كل

طريقاً لا يتجاهل الواقع من ناحية، ولا يندفع دون وعي نحو كل دعوة جديدة من ناحية أخرى.

وأود أن أشير هنا إلى بعض الملاحظات المبدئية:

أولاً : الإسلام كدين ليس تياراً فكرياً أو ظاهرة وقتية حتى يخشى عليه من التيارات الفكرية الوافدة. إنه دين له جذور ضاربة فى أعماق الكيان الإسلامى، وأصول راسخة لا تستطيع أن تنال منها التيارات الوقتية الطارئة. ولا يُخشى على هذا الدين من أي تيارات داخلية أو خارجية مهما كانت قوتها طالما فهم المسلمون هذا الدين فهماً صحيحاً، وأدركوا إدراكاً واعياً أهدافه النبيلة وغاياته السامية وجوهره الحقيقى.

ثانياً : العولة واقع لا يجدى معه أسلوب الرفض. إنه تيار بدأ بالمجال الإقتصادى ثم امتد إلى المجالين السياسى والثقافى، وبالإضافة إلى المجال الإعلامى. وهذا الواقع يعد حقيقة ماثلة أمامنا لا مجال لإنكارها.

ثالثاً : لا يجوز لنا أن نتجاهل أننا لا نعيش وحدنا فى هذا العالم، وأننا نعيش الآن فى عصر ثورة الإتصالات والمعلومات، والثورة التكنولوجية، وفى عصر السماوات المفتوحة، وهذا يعنى أنه لا مجال للإنعزال أو التوقع.

وإذا كانت العولة تهدف إلى إزالة الحواجز بين الأمم والشعوب – كما سبق أن أشرنا – ، وتحاول بطرق مختلفة فرض قيم معينة وحضارة معينة هي قيم الحضارة الغربية، أو قيم الأقوياء، فإن ذلك لا ينبغى أن يصيبنا بالفزع وفقدان التوازن، لأن ذلك لن يجدى فتىلاً، ولن يتيح لنا الفرصة للتفكير السليم. فنحن – كما سبق أن أشرت – أمام واقع، وواجبنا هو أن نتعامل معه. وهذا الواقع ليس كله شراً، وليس كله خيراً. ومن هنا ينبغى التعامل معه على هذا الأساس.

المستويين المادي والروحي قد أصبح اليوم بالنسبة للمسلمين فرض عين على كل مسلم ومسلمة كما هو الحال بالنسبة للعلم. وهذا أمر لم يعد ترفاً، وإنما هو قضية مصير. وعلى المسلمين أن يدركوا ذلك جيداً وإلا فإن الزمن سيتجاوزهم ويطوى صفحاتهم. وهذا أمر لا يرضاه عاقل لأمته.

وحتى نصل حاضر أمتنا بماضيها العريق فإننا في حاجة إلى العودة إلى التواصل مع أصول ومقومات حضارتنا الإسلامية فإن ذلك من شأنه – إذا أحسن توظيفه – أن يفسح المجال مرة أخرى أمام المسلمين ليستعيدوا دورهم الحضاري المفقود ويحتلوا مكانهم اللائق بهم في عالم اليوم، وبذلك يتم التمكين لهم في الأرض، وبالتالي يفرضون احترامهم على الآخرين بل إن الإسلام قد جعل التمكين في الأرض سبيلاً إلى التمكين للدين وتحقيق فرائضه وذلك في قوله تعالى: " الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر " .

ويمكن القول بناءً على كل ما سبق بأن الحضارة في التصور الإسلامي تعنى تحقيق المشيئة الإلهية في عمارة الأرض مادياً ومعنوياً، وبذلك يحقق الإنسان ذاته بوصفه خليفة لله في الأرض، وبالتالي يكون في صلة مستمرة بالله خالق الكون، وهذه الصلة كفيلة بأن تصح له دائماً مساره على الأرض حتى لا يضل الطريق.

المسلمون والعولة

ومن البديهي أن قوة المسلمين الحضارية ستجعلهم قادرين على مواجهة كل التحديات الخارجية التي أتت بها العولة المعاصرة. ونحن ابتداءً لسنا مع أو ضد العولة ولكننا مع النظرة النقدية الواعية للعولة ولغيرها من التيارات الوافدة. وأعتقد أن الضرورة تحتم أن يكون للمسلمين نظرتهم النقدية التي تتعمق في القضايا بكل أبعادها، وتحللها من جميع جوانبها، وتخط نفسها

للتجديد المتواصل في الحياة الإسلامية على جميع المستويات.

التفاعل الحضاري

وقد كان لهذه المبدئ والتعاليم الإسلامية أثرها العميق في الإنفتاح الحضاري للمسلمين، كما كانت حافزاً لهم على التواصي مع الحضارات الأخرى. فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها - كما ورد في الحديث الشريف - . وطلب العلم لا يقتصر على زمان أو مكان محددين. فنحن مأمورون أن نطلب العلم حتى ولو كان في أقصى مكان في الدنيا - كما جاء في الأثر الإسلامي المعروف: (اطلبوا العلم ولو في الصين) أو حتى لو كان هذا العلم في يد من لا يدينون بديننا.

وقد جعل الفيلسوف العظيم ابن رشد من الإطلاع على ما لدى الآخرين واجباً شرعياً، ولكنه أوصانا أن تكون لنا في ذلك نظرة نقدية تميز بين النافع والضار. وفي ذلك يقول: " ننظر في الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم. فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم ".

وقد كان ذلك هو النهج الذي سارت عليه الحضارة الإسلامية. فقد تفاعلت مع الحضارات السابقة عليها وأفادت منها دون حرج وذلك من منطلق أن التراث الإنساني - الذي هو ملك للإنسانية كلها - يعتمد على الأخذ والعطاء، وأنه لا توجد أمة عريقة في التاريخ إلا وقد أعطت كما أخذت من هذا التراث.

وإذا كنا قد سبق أن أكدنا أن مشكلة المسلمين الأولى هي مشكلة حضارية في المقام الأول فإن التغلب عليها يجب أن يكون في مقدمة أولويات أمتنا الإسلامية، فليس هناك أمامها خيار آخر إلا خيار العلم والبناء الحضاري. ويمكن القول بأن البناء الحضاري الذي يعنى التقدم على

وفى هذا المقام نود أن نؤكد أن الموقف الإسلامي من الحضارات الأخرى موقف واضح لا لبس فيه. فالإسلام لا يمنع أتباعه من الاستفادة من تجارب الآخرين وعلومهم وخبراتهم. وإذا كانت الحضارة الحديثة قد قامت على العلم. فإن العلم فى الإسلام – كما هو معروف – يعد فريضة على كل مسلم ومسلمة – كما جاء فى الحديث النبوي الشريف – كما أن الحضارة فى الإسلام تأخذ أيضاً حكم العلم فتكون هي أيضاً فريضة، لأن الطلب الإلهي بإعمار الأرض فى قوله تعالى: "هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها" لا يتحقق إلا بالعلم. ومن هنا وجدنا أن الآيات الأولى من الوحي الإلهي على محمد صلى الله عليه وسلم كانت منصبة على مفاتيح الحضارة.

وقد فتح القرآن الكريم باب البحث العلمي على مصراعيه أمام كل الناس، ولم يضع حدوداً ولا سدوداً فى هذا الصدد. ويؤكد القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى: "وسخرلكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون".

وهذا يعنى أن السماوات والأرض وما بينهما مجال للبحث والدراسة. وختام الآية المشار إليها فى غاية الأهمية لأنه يشير إلى أن أبواب البحث العلمي لن تفتح إلا "للقوم يتفكرون"، أي لهؤلاء الذين يستخدمون عقولهم ويجندون إمكانياتهم الفكرية للبحث والدراسة بصرف النظر عن معتقداتهم وأجناسهم ولغاتهم. ومن المعلوم أن التفكير يعد من القيم الحضارية الإسلامية التى أكد عليها القرآن الكريم فى كثير من آياته لأنه الوظيفة الأساسية للعقل الإنساني الذى يعد أعظم نعمة أنعم الله بها على الإنسان. ومن هنا لم يكن من قبيل المبالغة ما ذهب إليه المرحوم الأستاذ عباس العقاد من وصف التفكير بأنه فريضة إسلامية.

ولا شك فى أن مبدأ الإجتهد فى الإسلام يرتبط أشد الارتباط بالتفكير لأنه يعنى أعمال العقل فى فهم المسائل والبحث عن حلول ملائمة لها على المستويين الديني والدنيوي. وقد كان الإجتهد هو الآلية التى أقرها الإسلام

أما العولمة الثقافية فإنها تتحدى الأمة بفرض ثقافتها وقيمتها وعاداتها الإجتماعية، والأمر الذي يهدد ثقافتنا بالذوبان في ثقافة الأقوى ويطمس بالتالي هويتنا الإسلامية وشخصيتنا الحضارية.

وهذا كله يعني أن أمتنا قد أصبحت محاصرة من كل جانب، وقد تداعت عليها الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها – كما ورد في الحديث الشريف – لا بسبب قلة أعداد المسلمين، بل بسبب كثرتهم العددية الضعيفة التي وصفها النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث المشار إليه بغثاء السيل. وقد شجعت هذه الأوضاع الآخرين للترويج لما يسمى بالفوضى الخلاقة في عالمنا الإسلامي، وهذه الفوضى الخلاقة المزعومة ليست إلا دعوة لإثارة الفتن والعصبيات والإنقسامات في أوساط المسلمين.

سبيل الخلاص

وإذا كنا قد حاولنا أن نشخص على سبيل الإجمال – من وجهة نظرنا – أهم أدواء الأمة الإسلامية في عالمنا المعاصر والتحديات الداخلية والخارجية التي تتعرض لها، فإن السؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام هو: ما السبيل إلى إنقاذ الأمة من هذه الأزمة الخانقة؟

يقول خصوم الإسلام: إن هذا الدين هو سبب تخلف المسلمين. وما دام المسلمون متمسكين بهذا الدين فلن تقوم لهم قائمة. ويقدم هؤلاء النصح للمسلمين بأن يفصلوا فصلاً تاماً بين الدين والحياة، ويبعدوا الدين تماماً عن التدخل في أمور الدين، ويتبعوا في هذا الصدد النموذج الغربي في تهميش الدين، هذا النموذج الذي أخذ بيد الغرب إلى الأمام، وجعله اليوم في مقدمة دول العالم حضارةً ورقياً. وقد يكون الأخذ بالنموذج الغربي حتماً في حالة ما إذا لم يكن لدى المسلمين خيارات أخرى تستند إلى ما لديهم من تراث ديني وحضاري عريق.

مختلفة من العالم، ناهيك عن العديد من المشكلات الأقليات الإسلامية في مختلف القارات. وأصبح الآخرون يتحكمون في مصائر الأمة الإسلامية، ويقررون وحدهم في غيبة المسلمين أو حتى في حضورهم ما يشاعون في أخص خصوصيات هذه الأمة، الأمر الذي ينطبق عليه قول جرير:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأمرن

وهم شهود وفي خضم هذه الأوضاع التي يعيشها عالمنا الإسلامي نجد هناك اتجاهاً قوياً لتعليق كل أخطائنا وعيوبنا وتخلفنا على شماعة الآخرين دون أن نلتفت لنقد أنفسنا والتعرف بطريقة موضوعية على مواطن الخلل لدينا. وغياب النقد الذاتي من شأنه أن يساعد على تغييب وعينا بسوء أوضاع عالمنا الإسلامي.

العالم الإسلامي والآخر

ولا شك في أن هذه الأوضاع الداخلية كان لها أثرها السلبي على صورة الإسلام والمسلمين في الخارج، وبخاصة في عالمنا المعاصر. فنحن لا نعيش وحدنا في هذا العالم، ولا نستطيع أن نعزل أنفسنا عما يدور حولنا في عالم اليوم من متغيرات، وتيار العولمة المعاصر يحمل إلينا الكثير من التحديات التي لا مفر أمامنا من مواجهتها.

فالعولمة السياسة تتحدى أمتنا بما تحمله من شعارات الديمقراطية وحقوق الإنسان والتعددية السياسية، والعولمة الاقتصادية تتحدى أمتنا بما تحمله من إزالة الحواجز أمام تدفقات التجارة والسلع والخدمات والمال والبرامج، وبما تحمله أيضاً من تكتلات اقتصادية كبرى وشركات عملاقة متعددة الجنسيات ومؤسسات مالية ودولية. وهذا كله جعل البعض في الشرق وفي الغرب يصف هذه العولمة الاقتصادية بأنها عولمة متوحشة تجعل الغني يزداد غنياً والفقير يزداد فقراً.

بالشكليات بعيداً عن جوهر الدين ومقاصده. وقد كانت نتيجة ذلك كله انتشار ظواهر التشدد والتطرف والغلو في الدين. وترتب على هذا التشدد في أمور الدين تحول سلبي في السلوك حيث حلت الفظاظة والغلظة والعنف في التعامل محل الرحمة التي هي السمة الأساسية للإسلام، وانتشرت تهم الكفر والتحلل من الدين ضد كل من يعتقد - صواباً أو خطأ - أنهم متساهلون في أمور الدين، أو من لهم وجهة نظر مخالفة لهؤلاء المتشددين. وغني عن البيان أن نشير إلى أن هذا التيار المتشدد كان وراء ظهور موجات الغلو والتطرف والتعصب والإرهاب التي جلبت على الأمة الإسلامية عواقب وخيمة لا تزال تعاني منها حتى اليوم.

وقد كان لذلك كله أثر سلبي على العلاقات بين شعوب الأمة الإسلامية على جميع المستويات وبصفة خاصة على المستوى السياسي والإقتصادي. فقد أصبح التشرذم هو السمة الغالبة على علاقات شعوب الأمة الإسلامية فيما بينها، وأصبح التضامن الإسلامي مجرد شعار نردده في المناسبات، ولكنه شعار يخلو من أي مضمون. ويكفي أن نشير إلى أن حجم التجارة البينية بين دول العالم الإسلامي لا يتجاوز نسبة 8% من حجم تجارة هذه الدول مع بقية دول العالم. والتعاون في بقية المجالات الأخرى ليس أسعد حظاً من ذلك.

ومن هنا فإنه ليس بالأمر المستغرب أن نرى العالم الإسلامي - الذي يشكل سكانه خمس سكان العالم - قد أصبح مسرحاً مباحاً للصراعات المحلية والعالمية ومطمعاً للقوى الكبرى، وأصبح المسلمون في عالم اليوم أضياع من الأيتام في مأدبة اللئام. فمعظم مشكلات العالم اليوم تجد لها مرتعاً خصباً في قلب العالم الإسلامي، ومن أهمها قضايا فلسطين والعراق وأفغانستان والصومال والسودان وتشاد ولبنان وباكستان وغيرها. وذلك بالإضافة إلى مشكلات أخرى بين بعض البلاد الإسلامية ذاتها في مناطق

ولم تستطع الصحة الإسلامية المعاصرة أن تقترب حتى اليوم بطريقة جدية من هذه القضية المصيرية الأولى. بل ظلت حتى يومنا هذا منشغلة بمحيط الدائرة، وببعض المظاهر الشكلية والأمور الهامشية، ومهتمة بالجزئيات دون الكليات، واختلط لديها سلم الأولويات. فانقلبت الضروريات هامشيات والهامشيات ضروريات، وغابت معالم الرؤية الواضحة المتعلقة المستنيرة، وضاعت أصوات العقلاء من رواد هذه الملة وسط ضجيج الإنفعالات العاطفية التي تتصف في كثير من الأحيان بشدة حدتها وانفلات وعيها بما يدور حولها في عالم اليوم.

وواقع التخلف المشار إليه يمثل بالنسبة لعالمنا الإسلامي مشكلة حضارية بالدرجة الأولى. ويمكن القول بأن هذه المشكلة قد بدأت في الظهور عندما بدأ التراجع الحضاري في الأمة الإسلامية في أعقاب زوال الوجود الإسلامي في الأندلس وأوائل العقد الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي. ولم تتعاف الأمة من هذا التراجع حتى الآن.

مظاهر التخلف

وهذا التخلف الحضاري الراهن والذي لا تخطئه العين في عالمنا الإسلامي، يتجلى في العديد من المظاهر التي تشمل جميع المستويات الدينية والعلمية والسياسة والإقتصادية والإجتماعية والأخلاقية وغيرها. وفي مقدمة هذه المظاهر – في رأينا – إهمال العلم والحضارة، حيث لم يعد العلم ولا التقدم الحضاري يشكل أولوية في قاموس الأمة الإسلامية.

والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة، ولكن يكفي أن نشير في هذا الصدد إلى أن نسبة الأمية في العالم الإسلامي تزيد على 47% طبقاً للبيانات الصادرة عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

ومن الطبيعي أن تجر الأمية وراءها انتشار الخرافات والأوهام وتغيب العقل واختزال الإسلام في مجرد أداء الشعائر المعروفة، والإهتمام المفرط

tamadun yang ada pada umat Islam boleh memberikan mereka keupayaan untuk menghadapi cabaran-cabaran luar khususnya cabaran globalisasi sekarang.

ABSTRACT

Civilisation from Islamic perspective is the implementtations of God's will in developing physical and spiritual worlds. The action is considered as a human success to justify himself as vicegerent of God. By this main, a man can have continuous relation with his Creator. This relation will put man in a right tract in his lliving part, and will not make him astray. This paper explores challenes facing Muslim society in order to re-establish the glory of Islamic civilisation in future. The paper also emphasises that by havingstrong Islamic civilisation, the ummah can face the challenge including the current challenge of globalisation.

Keywords

النموذج الإسلامي الحضاري، وواقع التخلف المشار إليه ، التخلف الحضاري
الراهن، التضامن الإسلامي ، العالم الإسلامي

تمهيد

إن التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في العصر الحاضر تحديات كثيرة ومتنوعة وغير مسبوقة، وذلك بالنظر إلى ما طرأ على عالمنا المعاصر من تطورات متلاحقة وتغيرات في شتى مناحى الحياة، وعلى كل المستويات السياسية والإقتصادية والثقافية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها . وذلك فضلا عن الثورة العلمية والتكنولوجية وثورة المعلومات والاتصاليات وتيار العولمة الجارف الذي يجتاح العالم المعاصر.

ومما يزيد الأمور تعقيداً أمام عالمنا الإسلامي في ظل هذه الظروف والمتغيرات ما يعانیه من أزمات طاحنة ومشكلات خانقة متعددة الجوانب. ففي الوقت الذي تتلاحق فيه التطورات على جميع المستويات في مناطق العالم المتقدم إذا بنا نرى التخلف بكل أبعاده يخيم على العالم الإسلامي. وهذا التخلف واقع لا يجوز إنكاره على الرغم من القشرة الحضارية الظاهرية المستوردة التي يراها المرء في أنحاء شتى من العالم الإسلامي. ولكننا في الوقت نفسه لا نستطيع أن ننكر أن هذا التخلف الواضح، وهذا الواقع المحزن، منفصل عن النموذج الإسلامي الحضاري بمائة وثمانين درجة.



الحضارة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة * التواصل المعرفي بين التراث والمعاصرة

محمود حمدي زقزوق

الملخص

إن الحضارة في التصور الإسلامي تعني تحقيق المشيئة الإلهية في عمارة الأرض ماديا ومعنويا وبذلك يحقق الإنسان ذاته بوصفه خليفة لله في الأرض وبالتالي يكون في صلة مستمرة بالله خالق الكون ، وهذه الصلة كفيلة بأن تصحح له دائما مساره على الأرض حتى لا يضل الطريق. فهذه الورقة هي محاولة لكشف التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية في طريقهم لإعادة الصرخ الحضاري في الوقت الحاضر. وتبرز هذه الورقة أن قوة المسلمين الحضارية ستجعلهم قادرين على مواجهة كل التحديات الخارجية خاصة التحديات التي اتت بها العولة المعاصرة.

ABSTRAK

Tamadun menurut pandangan Islam adalah pelaksanaan kehendak Allah s.w.t. dalam membangunkan alam semesta ini sama ada dari dimensi kebendaan atau kerohanian. Tindakan tersebut merupakan satu kejayaan bagi manusia sebagai khalifah Allah di muka bumi ini. Dengan itu manusia akan sentiasa mempunyai hubungan yang berterusan dengan pencipta alam ini. Hubungan ini akan meletakkan manusia di atas landasan yang benar sepanjang perjalanan hidupnya dan ia tidak akan tersesat. Artikel ini merupakan satu usaha untuk mendedahkan cabaran-cabaran yang dihadapi oleh umat Islam dalam rangka untuk mengembalikan semula kegemilangan tamadun Islam pada masa akan datang. Kekuatan